Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 20 | Issue 1 Article 10

2021

The Mental Spaces and the Construction of Meaning: Metaphor and Metaphor Is a Model

غسان الشمري
جامعة طيبة، بينبع، المملكة العربية السعودية, ghasamshamare@gmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arabic Language and Literature Commons

Recommended Citation

2021) غسان ,الشمري) "The Mental Spaces and the Construction of Meaning: Metaphor and Metaphor Is a Model," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 20 : Iss. 1 , Article 10.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

The Mental Spaces and the Construction of Meaning: Metaphor and Metaphor Is a Model

Cover Page Footnote

جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2019. أستاذ مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، بينبع، المملكة العربية السعودية.

This article is available in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات:
https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 20 العدد 1، 2019، ص ص 297- 325

الفضاءات الذهنية وبناء المعنى: الاستعارة والكناية إنموذجاً

The Mental Spaces and the Construction of Meaning: Metaphor and Metaphor Is a Model

غسان إبراهيم الشمري*

تاريخ الاستلام 2018/7/29 تاريخ القبول 2018/10/21

ملخص

نخصص هذا البحث لنظرية من أهم نظريات الدلالة المعرفية هي نظرية الفضاءات الذهنية، كما طورها جيل فوكونييه (G.Fauconnier) ([1984] 1994) و(1997) خاصة. وهي نظرية تعتبر أن اللغة تتعلق ببناء المعنى مباشرة في السياق؛ أي أن الجمل لا يمكن تحليلها بمعزل عن الخطاب. ذلك أن الدلالة، التي اعتبرت، تقليديا، معنية بمعنى الجمل في استقلال عن السياق، لا يمكن فصلها عن الذريعيات،(pragmatics) التي تعنى بمعنى الجمل التابع للسياق. فبناء المعنى يقوده السياق، ويخضع، تبعا لذلك، للمعلومات الخاصة بوضع معين. وبما أن بناء المعنى يعتبر عملية تصورية أساسا، فإن هذه النظرية تأخذ أيضا بعين الاعتبار العمليات والمبادئ المعرفية العامة التي تساهم في بناء المعنى.

الكلمات المفتاحية: الفضاءات الذهنية، بناء المعنى، السياق، اللسانيات، المزج التصوري، اللغة والمعرفة.

Abstract

This research is devoted to one of the most important theories of cognitive significance: the theory of mental spaces, as developed by G. Fauconnier [1984] (1994) and (1997) in particular. It is a theory that language is concerned with the building of meaning directly in context; that is, sentences can not be analyzed in isolation from speech. The semantics, traditionally considered to be concerned with the meaning of sentences in context, can not Separated from pragmatics, which means the contextual sense of sentences, and the building of meaning is context-driven and therefore subject to the information of a particular situation. Meaning is essentially a conceptual process. This theory also takes into account the processes and general cognitive principles that contribute to the building of meaning.

Keywords: cognitive, language, mental space, context, construction.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2019.

* أستاذ مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، بينبع، المملكة العربية السعودية.

Published by Arab Journals Platform, 2021

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

مقدمة:

حاولنا في هذا البحث القيام بالتركيز لآليات بناء المعنى في إطار نظرية من أهم نظريات الدلالة المعرفية هي نظرية الفضاءات الذهنية، كما طورها العالم اللغوي الفرنسي جيل فوكونييه (G.Fauconnier) خاصة ابتداءً من ثمانينيات القرن الماضي. وهي نظرية تعتبر أن اللغة تتعلق ببناء المعنى مباشرة في السياق؛ وأن الجمل لا يمكن تحليلها بمعزل عن الخطاب. ذلك أن الدلالة، التي اعتبرت، تقليديًا، معنية بمعنى الجمل في استقلال عن السياق، لا يمكن فصلها عن الذريعيات(pragmatics)التي هي دراسة ما يعنيه المتكلمون أو معنى المتكلم وتعنى بمعنى الجمل التابع للسياق. فبناء المعنى يقوده السياق، ويخضع، تبعا لذلك، للمعلومات الخاصة بوضع معين[1].

وبما أن بناء المعنى يعتبر عملية تصورية أساسًا، فإن هذه النظرية تأخذ أيضا بعين الاعتبار العمليات والمبادئ المعرفية العامة التي تساهم في بناء المعنى الذي يتم الجزء الأكبر منه "خلف المشهد". فاللغة لا ترمِّز الفكر في شموله وتعقيده، بل ترمِّز فقط تعليمات جزئية لخلق أفكار أغنى وأكثر تبلوراً. ولأن المبادئ والاستراتيجيات التي تقود عملية بناء التصورات غير مرئية في قسمها الأعظم، فإن ذلك هو الذي سمح بظهور مواقف تبسيطية من المعنى، كتلك التي ترى أن بناءه لا يتم إلا عن طريق "فك ترميز" المعنى الملازم للغة. في حين أن اللغة كما نستعملها ليست، في نظر فوكونييه، سوى الرأس الظاهر من جبل الجليد الذي يمثل البناء المعرفي المعقد. وقد بينا أن من أبرز آليات هذا البناء تلك المتمثلة في عمليتين: أ. بناء فضاءات ذهنية باعتبارها بنيات جزئية تتوالد عند التفكير والكلام محدثة تقسيمات دقيقة في بنياتنا المعرفية والخطابية؛ ب. إقامة ربط بين هذه الفضاءات يقوده سياق الخطاب، لأن بناء المعنى مربوط دائما بالسياق.[2]

ونهجت هذه الدراسة منهجًا وصفيًا تحليليًلا يقوم على تتبع الفضاءات الذهنية وبناء المعنى، كما أنها أفادت من المنهج التاريخي في رصد هذه دراسة هذه النظرية ووضع تصور أفضل لها.

1- اللغة والمعرفة

خلافا لدلالة شروط الصدق التي تقوم على أن اللغة تمثل عالما خارجيًا ذا طبيعة موضوعية، تعتبر الدلالة المعرفية أن الكيفية التي نتمثل بها الواقع الخارجي تابعة للتجربة المجسَّدة. ومن ثمة يتم بناء المعنى ليس بمقابلة الجمل بالواقع الموضوعي، وإنما على أساس التعابير اللغوية التي تستدعي عمليات تصورية مركبة تبني المعاني القائمة على معرفة موسوعية بالغة التعقيد.

إن البنية الدلالية، تبعا لهذه النظرة، تعتبر الصورة الاعتيادية التي تتخذها البنية التصورية عندما ترمزها اللغة، وتمثل رصيدا من المعرفة المخزنة التي تكتفي اللغة بأن تعكسه. لكن علاقة "الترميز" هذه بين اللغة والمعرفة تحتاج إلى بعض التوضيح.[3]

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 2

1.1 البنية التصورية أغنى من المعنى اللغوي

إن المعاني "المرمَّزة" في اللغة (أي التمثيلات الدلالية المرتبطة بالوحدات اللغوية) تعتبر تمثيلات جزئية وغير تامة للبنية التصورية التي تستمد الدعم من معلومات مشتقة من عمليات إدراكية أوسع، تشمل التجربة الحسية والاستبطانية (الذاتية)[4].

وبينما يعتبر غنى تمثيلات هذه التجربة التي تبني نسقنا التصوري (الذي يتضمن كيانات مثل: الأطر والمجالات والنماذج التصورية المؤمثلة (Idealized)، والاستعارات التصورية، الخ) قليلا، من حيث التفاصيل، مقارنة بالتجربة الإدراكية نفسِها، فإن التمثيلات التي ترمِّزها البنية الدلالية (أو المعنى اللغوي) أقل غنى من ذلك. وعلاوة على هذا، فإن التمثيل التصوري يعتبر، في نهاية المطاف، ذا طبيعة إدراكية؛ وهو اعتبار تمليه المحاكاة الإدراكية التي تسمح بها البنية التصورية، كما هو الحال في قدرتنا على المحاكاة الذهنية لمراحل أي فعل مركب. وبعكس هذا، فإن التمثيل الدلالي مختص في التعبير من خلال نسق رمزي[5]. وهذا يعني أن النسق اللغوي، المتمثل في رموز منطوقة أو مكتوبة أو إشارية، "يضيِّع" جزءاً كبيرا من الغنى الذي يتصف به التمثيل التصوري ذو الموارد الإدراكية المتعددة.

فرغم أن البنية الدلالية "ترمِّز" البنية التصورية، فإن شكل البنية الدلالية يضمن أن تمكِّن اللغة فقط من حد أدنى من الإشارات الدالة على حقيقة التمثيل الذهني الذي بقصده المتكلم. وبعبارة أخرى، فاللغة ترمز "المعنى"، لكن هذا المعنى يتم إفقاره بسبب قيود النسق الرمزي فيُسْتَخْدَم باعتباره باعثا على بناء تمثيل تصوري أغنى لدى السامع [6].

2.1 عن بعض مقدمات المعنى وسياق الخطاب

إن فكرة السياق عندما تناولها الغربيون في القرن العشرين، لم تكن جديدة تمامًا، وإنما كانت استمرارًا لجهود الدرس اللغوي، ولدى القدماء العرب، من مفسرين وأصوليين ولغويين، سبق في هذا المجال. حيث غدا سياق الحال بصفة عامة الفكرة الجوهرية لديهم في فهم التراكيب اللغوية وبيان أبعادها التبليغية[7]، وعليه احتل سياق الحال أهمية خاصة، لدى النحاة،وجاءت تصوراتهم توافق، من حيث المبدأ العام، الفرضية التأليفية التي تدافع عنها اليوم أهم النظريات الدلالية. وانطلاقا من مثل هذه الأصول تعددت المصطلحات المتعلقة بسياق الحال حيث ورد هذا المفهوم بين مصطلح السياق، وسياق الموقف والمقام والحال وغيره. فقد تم تناول فكرة السياق عند سيبويه من خلال إدراك توظيف قرينة الحال أو المقام في توجيهه النحوي،ومدى خضوع الكلام لمؤثرات المحيط الخارجي. حيث ساق الكثير من الأمثلة التي تدل على السياق.والكتاب لسيبويه يحوي كثيرا من المواضيع التي تتجلى فيها فكرة المقام[8].ولعل أيضا حضور فكرة المقام أو مراعاة المخاطب أو الغرض ظهرت عند الجاحظ الذي أكد علاقة الكلام بالمقام،"لو كان ذلك

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

الموضع موضع كناية هي المستعملة. وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظ مواضع استعملها أهل هذه اللّغة وكان الرأي ألّا يلفظ بها، لم يكن لأوّل.كونها معنى إلّا على وجه الخطأ، ولكان في الحزم والصّون لهذه اللّغة أن ترفع هذه الأسماء منها.وقد أصاب كلّ الصّواب الذي قال: لكلّ مقام مقال".[9] ويرى عبد القاهر الجرجاني الذي تناول مفهوم تطبيق السياق بالبحث والدراسة، خلال حديثه عن نظرية النظم، حيث أشار إلى "الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما من بينهما فؤائد"[10] .

وتؤشر نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية مكانة المعرفة بالسياق اللغوي حيث اتسعت معرفته في هذا المجال وأكد على ذلك بقوله "اعلم أن ليس (النّظْمُ) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف مناهجه التي نُهِجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك،فلا تُخِلُ بشيء منها" [11]. وإذا تأملنا مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي تعرف بها (النظم)،نجد عبد القاهر الجرجاني قد قطع أشواطا مهمة،في هذا المجال ومن ثمة انصب الاهتمام عنده على حد النظم وحقيقته، لذلك عرض وبكيفية مخصوصة لبيان الفرق بين نظم الحروف،ونظم الكلام. وهذا ما أكده بقوله" أن نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه"[12]. كذلك بين أن (نظم الكلم) فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وتُرتبها على حسب تَرَتُّب المعاني في النفس. فهو إذن نظمٌ يُعتبر فيه حال المنظُوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضَمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلُح"[13] ويستدل على أن الإجابات التي قدمها عبد القاهر الجرجاني، توافق، في خطوطها العريضة ومن حيث المبادئ العامة، الإجابات التي تقدمها أبرز النظريات المعاصرة من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات تتعلق ببناء المعنى مباشرة في السياق.هكذا، إذن، نلاحظ أن سياق الحال قد تنوع وتعدد؛ ولم يكن ليعرض بالصورة التي عرض بها، إلا بافتراض وجود تصور - مهما كان وضوحه أو غموضه - للعلاقة بين اللفظ والمعنى.

انطلاقًا من مثل هذه الأصول عولجت مسائل السياق،ضمن مجالات اهتمام العرب القدماء المختلفة.كما شغلت دراسة السياق مجالاً واسعاً في الدرس اللغوي المعاصر تبعا لما هو مقدم عند الغرب. ويعد عمل فيرث (firth)، عملاً متطوراً داخل اللسانيات المعرفية وذلك لما أحدثته النظرية السياقية التي انصب اهتمامه عليها.وقد اندرجت نظرية فيرث (firth)، السياقية على "إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمن الأحداث الكلامية. فالقول إن الإدراك اللغوي

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 4

والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلم إلى السامع، ليس سوى خرافة مضللة"[14]. نظر فيرث إلى "المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة،فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة،ولكنه أيضا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث،أي من خلال سياق الحال"[15]. ويرى "أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية،أي وضعها في سياقات مختلفة"[16]. فدراسة المعنى عند فيرث تعني تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها. وسياق الحال عند فيرث يعني جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو الحال الكلامية، ومن هذه العناصر:شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي،والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة،وبالسلوك اللغوي.وأثر الحدث الكلامي في المشتركين[17].

لقد أثار سياق الحال عند بول ريكور (Paul Recoeur) الكثير من القضايا اللغوية، ففي كتابه "نظريّة التأويل: الخطاب وفائض المعنى" يرى أن "الصراع الواضح بين التفسير والفهم برغم ذلك،فأنا اعتقد أن هذا الصراع هو الوحيد الواضح،وأنه يمكن التغلب عليه،إذا ما تمكنا من بيان أن هذين الموقفين يرتبط أحدهما بالآخر ارتباطاً جدلياً"[18]. ومن خلال الجدل بين التفسير والفهم تشكلت ملاحظات ريكور وهذا ما أكد عليه بقوله" إذا كان الجدل بين التفسير والفهم يوفّر مرجعاً أخيراً لملاحظاتي، فإنّ الخطوة الأولى للسير فيه ينبغي أن تكون خطوة حاسمة؛ إذ يجب أن نعبر العتبة التي تقف وراءها اللغة بوصفها خطاباً"[19]. ومن جملة ما يثيره ريكور في سياق مناقشاته اهتمامه بتحليل كتابه وغايته تفسير النص باعتباره عملاً خطابياً ويقول "فالخطاب، إذاً، من حيث هو واقعة أو قضية أو خبر، أي من حيث هو وظيفة إسناد متداخلة ومتفاعلة بوظيفة هوية هو شيء مجرد،يعتمد على كل عيني ملموس هو الوحدة الجدلية بين الواقعة والمعنى في الجملة"[20].

وإذا افترضنا أن جلّ المداخل المعجمية تعد جزءاً من القدرة اللغوية للمتكلم،فإنها تعد خاصية إنسانية مشتركة بين جميع المتكلمين،وهذا تفسير يشرح التطابق الموجود بين المعنى الاستعاري والتأويل (Interpretation)، إلا أن هذا الافتراض قد تعوقه مجموعة من التفاصيل خصوصاً في عملية استعمال الاستعارة، إذ لا يمكن أن نسلم بوجودها إلا عندما نملك القدرة على تجاوز كل ما هو شائع ونمطي في اللغة.

وانطلاقًا من مثل هذه الأصول التي عولج بها مصطلح سياق الحال،يصعب في هذا المقال أن أقدّم طرح سياق الحال ومدى تأثيره على المعنى لدى اهتمام علماء اللغة قديما وحديثاً،لكن خصصنا حديثنا حول آليات بناء المعنى في إطار نظرية الفضاءات الذهنية.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

تقوم الدلالة المعرفية على أن بناء التصورات ينبع من استعمال اللغة في السياق. فينتج عن ذلك عدم وجود تمييز ذي أساس مبدئي بين الدلالة والذريعيات (pragmatics). فنظرية الفضاءات الذهنية تفترض أن بناء التصورات يقوده سياق الخطاب الذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من عملية بناء المعنى. ومن ثمة، فبينما يمكن أن تكون المعرفة الذريعية مختلفة نوعيا عن المعرفة الدلالية (أي المعلومات المفقرَة التي ترمِّزها اللغة)، فإن هذه الأخيرة لا تكون ذات معنى إلا في السياق[21] فالدلاليون المعرفيون، يرفضون وجود مراحل "دلالية" و"ذريعية" منفصلة في بناء المعنى، كما يرفضون وجود حد فاصل بين هذين النمطين من المعرفة؛ بل هما معًا مظهران لمعرفة واحدة هي المعرفة الموسوعية. وهذا يعني أن المعنى يبنى في المستوى التصوري، أو يتعلق ببناء التصورات الذي يعتبر سيرورة نشيطة تمثل فيها الوحدات اللغوية منطلقًا لفئة من العمليات التصورية واستخدام معطيات المعرفة الموسوعية[22].

3.1 بناء التصورات عملية مركبة

يقوم بناء التصورات على عمليات وإسقاطات تصورية معقدة، من قبيل الاستعارات التصورية والكنائية، والخطاطات الصورية وهذا التصور، يعتبر مثالا لما يسمى في اللسانيات المعرفية خطاطة صُوَرية؛ وهي تصور يمثل واحدة من الطرق التي تنتج بها التجربة الجسدية التصورات الدالة.

وبينما يتأسس تصور الوعاء على التجربة الجسدية المباشرة المرتبطة بالتفاعل مع الأحياز المحدودة، فإن البنية التصورية للخطاطات الصُوَرية يمكنها أيضا أن تنتج أنماطا أكثر تجريداً من المعنى.

إن المعنى ليس معرفة مخزنة وموجودة مسبقًا ترمزها اللغة. والتصور الذي يعتبر الكلمات "وعاءً" للمعنى ويعتبر اللغة قناة لتحويله أو استخراجه تصور مغلوط[23].

بل بناء المعنى عملية معقدة ومركبة تتم في المستوى التصوري. وليست الكلمات والتراكيب النحوية سوى بواعث جزئية مُفْقَرة لعمليات معرفية عالية التعقيد تنتج بناءات تصورية أغنى وأكثر تفصيلًا.

تعتبر نظرية الفضاءات الذهنية، إذن، أن الجزء الأكبر من بناء المعنى يتم "خلف المشهد"؛ وأن اللغة لا ترمِّز الفكر في شموله وتعقيده، بل ترمِّز فقط تعليمات جزئية لخلق أفكار أغنى وأكثر تبلورًا. ولأن المبادئ والاستراتيجيات التي تقود عملية بناء التصورات غير مرئية في قسمها الأعظم، فإن ذلك هو الذي سمح بظهور مواقف تبسيطية من المعنى، كتلك التي ترى أن بناءه لا

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 6

يتم إلا عن طريق "فك ترميز" المعنى الملازم للغة. في حين أن اللغة كما نستعملها ليست، في نظر فوكونييه، سوى الرأس الظاهر من جبل الجليد الذي يمثل البناء المعرفي.[24]

2- بناء المعنى

لقد اهتم الدلاليون المعرفيون كثيرًا بالصفة النشيطة التي يختص بها بناء المعنى. ومن أبرزهم فوكونييه (1984) و(1997) الذي أوضح ذلك من خلال مفهوم الاسقاطات (mappings)، الذي يعني عنده نمطا من الترابطات (mappings) بين فضاءات ذهنية منفصلة، تقوم عليها سيرورة بناء المعنى. وعليه يستلزم بناء المعنى، حسب فوكونييه، عمليتين: بناء فضاءات ذهنية، وإقامة ربط بين هذه الفضاءات الذهنية. وهي علاقات ربط يقودها سياق الخطاب، لأن بناء المعنى مربوط دائما بالسياق. ويعرف فوكونييه الفضاءات الذهنية باعتبارها بنيات جزئية تتوالد عند التفكير والكلام محدثة تقسيمات دقيقة في بنياتنا المعرفية والخطابية.[25]

ومن المبادئ الأساسية في نظرية الفضاءات الذهنية، أن هذه الفضاءات تجزئ المعنى إلى مجالات تصورية متمايزة.

إن الفضاءات الذهنية مجالات داخل الفضاء التصوري تتضمن أنماطًا مخصوصة من المعلومات. إنها تبنى على أساس استراتيجيات لغوية وذريعية وثقافية لتحصيل المعلومات. ولكن ما دامت الفضاءات الذهنية تبنى بكيفية متزامنة أو فورية، فإنها تنتج عن "قِطَع" فريدة ومؤقتة من البنية التصورية، تتكوّن وفقا لحاجات الخطاب الآنية. وتملك مبادئ تكوين الفضاءات الذهنية والعلاقات القائمة بينها القدرة على إنتاج ما لا نهاية له من المعاني[26].

ولتوضيح ذلك، ننظر في المثال التالي:

(1) لو كنتُ أباك لصفعتُك

تسمح هذه الجملة بعدة تأويلات أو بناء عدة فضاءات ذهنية تبعا للسياق. لنفرض أن مربية الأطفال *هند*، توجهت بقول هذه الجملة إلى الطفل المشاكس *زيد*. ولننظر في ثلاثة من تأويلاتها الممكنة، وفي كيفية رصدها في إطار نظرية الفضاءات الذهنية:

أ. *تأويل الأب المتسامح*: "على أبيك أن يكون أكثر صرامة"

في هذا التأويل تعتبر *هند* أن أبا *زيد* يجب أن يظهر سلطة أكبر وأن يعاقب ابنه بالصفع. وبالنظر إلى عمليات الربط بين الواقع (الفضاء الأول) والواقع المخالف (الفضاء الثاني)، فإن هذا التأويل تشتقه هند بموقفها الأكثر صرامة الذي "يعوض" الأب ذا الموقف المتسامح. ويعتبر هذا

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

الربط جزئيا من حيث إن الأب يبقى على ما هو عليه في ما يخص مظاهره الأخرى: ككونه ملتحيا، مثلا، ويملك سيارة، ويسكن في الضاحية، الخ.

والذي تغير في الفضاء الثاني أن الأب أقل تسامحا مع الطفل المشاكس، ويقدم على صفعه. ومن نتائج هذا التأويل، أن الأب، في الواقع (الفضاء الأول) الذي يتضمنه الواقع المخالف (الفضاء الثاني)، يقارن، على سبيل التجريح، بالمتكلم هند. فلأن مربية الأطفال كانت ستصفع الطفل، فإن ذلك يستلزم أن الأب يعتبر مقصِّرا لكونه لا يقوم بذلك. ومن ثمة، فإن للواقع المخالف نتائج على تصورنا للأب ولموقفه من الأبوة في الواقع.

ب. *تأويل الأب الصارم*: "أنت محظوظ، فلست صارمة مثل أبيك"

في هذا التأويل، وخلافا لسابقه، فإن الأب، ذا الموقف الصارم، هو الذي يعوض مربية الأطفال هند. أي أن هندا تحذر الطفل بكونه محظوظا لأنها هي التي تواجهه الآن وليس أباه، وإلا لكان هذا الأخير قد صفعه. فيكون الأب، في هذا التأويل، هو الصارم وتكون هند هي المتسامحة في الواقع؛ كما يكون الأب هو الذي يحل محل هند في الواقع المخالف (الفضاء الثاني). وممّا يستلزمه هذا الواقع المخالف (الفضاء الثاني) في ما يخص الواقع (الفضاء الأول)، أنه بينما كان الأب سيصفع الطفل، فإن هندا تعبر عن تسامح أكبر. ويمكن أن يعني هذا التأويل إطراءا إيجابيا لهند في دور مربية صالحة للأطفال.

ج. *تأويل الدور*: "السبب الوحيد الذي يجعلني لا أصفعك، هو أنني لا يُسمَح لي بذلك"

تقول هند، في هذا التأويل، إنها لو كانت تقوم بدور الأب لصفعت الطفل. ولا يعني هذا التأويل شيئا بخصوص الأب الذي يمكنه (أو لا يمكنه) أن يصفع الطفل في الواقع. وبالمقابل، فإنه يعوض دور الأب بهند. ففي هذا الواقع المخالف، كانت هند- وهي- في دور الأب ستصفع الطفل. ويستلزم هذا التأويل في ما يخص الواقع تعليقا على دور هند وعلى الحدود التي عليها ألا تتجاوزها: فدور مربية الأطفال يمنعها من صفعهم.

ومن الخلاصات التي يمكن استنتاجها من النظر في بعض تأويلات الجملة (1):

- يمكن أن تكون الجملة الواحدة باعثا على عدد من التأويلات المختلفة، ينتج كل واحد منها عن عملية ربط مختلفة بين واقع (أو فضاء أول) وواقع مخالف (أو فضاء ثان) يتم بناؤه؛
- تحمل كل واحدة من عمليات الربط استلزامات مختلفة عن كيفية تصورنا للمشاركين في الحدث المعبر عنه في الواقع.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 8

- إن المعنى لا يوجد "في الكلمات" ولكنه يتعلق بالعمليات التصورية التي تقيم ترابطات بين أوضاع واقعية وأخرى مفترضة. وتنتج عن هذه العمليات تمثيلات توافق البواعث المرتبطة بالعبارة اللغوية، لكن هذه البواعث لا تخصص التمثيلات المذكورة إلا جزئياً.[27]

3- هندسة الفضاءات الذهنية

رأينا آنفا أن التعابير اللغوية تعتبر باعثا على عمليات أغنى لبناء المعنى؛ أي أن التعابير اللغوية تملك دلالات ممكنة. فعوض أن "ترمز" التعابير اللغوية المعنى، فإنها تمثل *تعليمات بناء جزئية* (partial building instructions) يتم تبعا لها بناء فضاءات ذهنية. إن المعنى الفعلي الذي تكون العبارة اللغوية باعثة عليه يعتبر دائما تابعا لسياق الخطاب الذي ترد فيه العبارة؛ وهذا يعني أن المعنى الممكن لأي عبارة لغوية يتم استعماله بكيفيات مختلفة تابعة لسياق الخطاب.

ونتناول في ما يلي بعض جوانب الهندسة المعرفية التي تقوم عليها عملية بناء المعنى هذه.وعلى ذلك تكون منطلقات فوكونية أننا نستعمل اللغة للحديث عن الأشياء الموجودة كما هي في حال الكون والتجربة،وعمّا يمكن أن يوجد،وعمّا سيوجد، وعمّا نعتقد أو نتصوّر وجوده، وعمّا نتمناه أو نفترضه وعمّا نراه رؤية العيان[28].

1.3 الوحدات البانية للفضاءات

تفترض نظرية الفضاءات الذهنية أننا حين نفكر أو نتكلم نبني فضاءات ذهنية. ويتم ذلك بواسطة وحدات بانية للفضاءات (space builders)؛ وهي وحدات لغوية تبعث على بناء فضاء جديد، أو تحول الانتباه إلى الأمام أو إلى الوراء في ما بين الفضاءات الذهنية التي تم بناؤها من قبل. ويمكن أن تكون هذه الوحدات البانية للفضاءات مركبات حرفية أو ظرفية أو روابط مثل:

- في سنة 2007...
- في المقهى...
- في ذهن زيد...
- من وجهة نظر عمرو...
- من المحتمل...
- في الواقع...
- نظريا...
- إذا..... إذن...
- إما..... أو...

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

ويمكن أن تكون تأليفا بين فعل وفاعل متبوعين بجملة مدمجة مثل:

- يظن زيد...
- تتمنى هند...
- ينوي عمرو...

كما يمكن أن تكون وحدات من أنماط أخرى متنوعة.

وما تتميز به هذه الوحدات البانية للفضاءات أنها تتطلب من السامع بناء سيناريوهات خارج "هُنا" و"الآن"؛ سواء كانت هذه السيناريوهات تعكس واقعا في الماضي أو المستقبل، أو واقعا في مكان آخر، أو واقعا مفترضا، أو واقعا متعلقا بمعتقدات أو أفكار، إلى غير ذلك.

2.3 عناصر الفضاءات الذهنية

تعتبر الفضاءات الذهنية مجالات تصورية مؤقتة تبنى خلال اشتغال الخطاب. وتتضمن الفضاءات عناصر (elements) قد تكون كيانات مبنية بكيفية متزامنة أو كيانات سابقة الوجود في النسق التصوري. ومن العبارات اللغوية التي تمثل العناصر، الأسماء نحو: *زيد* وعمرو، والأوصاف (descriptions) نحو: *الملك والوزير الأول*، و*ماسة بيضاء*، و*الفيل الإفريقي*؛ والضمائر، نحو: **هي وهو وهم**.

ويمكن أن يكون للأسماء تأويل معرف نحو: *القط الأسود*، *عنترة بن شداد*؛ أو تأويل منَكَّر نحو: *قط أسود*، *قطط*. والأسماء ذات التأويل المنَكَّر هي التي تستخدم عادة في إدخال العناصر الجديدة إلى الخطاب، أي العناصر غير المألوفة أو التي لم تذكر من قبل، نحو:

(2) لقد اشتريت اليوم كتابا جديدا!

أما الأسماء ذات التأويل المعرَّف فغالبا ما تستخدم باعتبارها اقتضاءات، لأنها تقتضي معرفة سابقة. وهذا يعني أنها تحيل على عناصر تكون في متناول المتكلم والسامع أو تعتبر جزءا من الأقوال المتبادلة، نحو:

(3) ضاع مني الكتاب الجديد

3.3 الخصائص والعلاقات

إضافة إلى بناء الفضاءات الذهنية والعناصر الجديدة أو الموجودة أصلا داخلها، يقتضي بناء المعنى كذلك معالجة المعلومات التي تخص الكيفية التي تتعالق بها العناصر داخل الفضاءات الذهنية. وهذه من أهم الأفكار والمبادئ عند فوكونية لتوضيح المعنى عن طريق الخطاب بوجه يستطيع به الأطراف فيه متابعة الخطاب في ديناميّة قصد تحقيق الغايات التواصلية والفكرية[29].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 10

وعلى ذلك يجد فوكونية في ذلك مدخلا يثبت فيه ضرورة البحث فيما يمكن للذهن أن يقيمه من عمليات ربط لمختلف السياقات وفي ما يكون للسياقات المختلفة من آثار في بناء المعنى[30].

لذلك فإن الوحدات البانية للفضاءات تحدد الخصائص المسندة إلى العناصر، كما تحدد العلاقات الرابطة بين هذه العناصر داخل نفس الفضاء الذهني.

لننظر في المثال التالي:

(4) في هذه المسرحية، عطيل غيور

فالوحدة البانية في (4) هي المركب: *في هذه المسرحية*، التي تبني فضاءً ذهنيا. ونرسم في (5) هذا الفضاء الذهني عن طريق دائرة تحمل عنوان: *مسرحية*، حتى نبين أن الفضاء الذهني يمثل "العالم" داخل المسرحية:

(5)

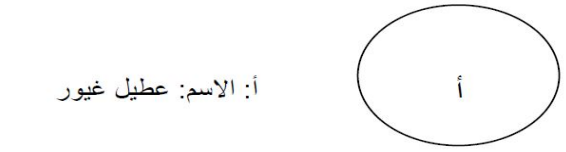

مسرحية

ويدخل الاسم: *عطيل*، عنصرا في الفضاء الذهني يحمل العنوان: أ. وتسند العبارة: غيور، خاصية إلى هذا العنصر.

ولننظر الآن في المثال (6):

(6) في اللوحة، تركب ساحرةٌ عنقاء

يعتبر المركب الحرفي: *في اللوحة*، وحدة بانية تبني فضاءً ذهنيا عنوانه: *لوحة*، في الرسم (7):

(7)

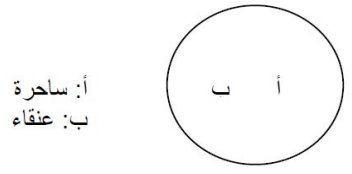

لوحة

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

وهذا يبين أن الفضاء الذهني يتعلق "بالعالم" الموجود داخل اللوحة. وهناك عنصران جديدان تم إدخالهما، هما: *ساحرة* و*عنقاء*. ويعتبران جديدين في الخطاب، لأن لهما تأويلا منَكَّرا. ويمثل أ العنصر الذي تبعث عليه العبارة: *ساحرة*، وتمثل ب العنصر الذي تبعث عليه العبارة: *عنقاء*.

حتى الآن، يعتبر الفضاء الذهني في الرسم (7) تمثيلا جزئيا فقط للجملة (6)، لأنه وإن كان يفيد أن اللوحة تتضمن *ساحرة* و*عنقاء*، فإنه لا يفيدنا بخصوص العلاقة القائمة بينهما ولا بخصوص طبيعتهما.

إن الفضاءات الذهنية مبنية داخليا عن طريق البنيات المعرفية الموجودة، وهي الأطر (frames) والنماذج المعرفية المؤمثلة (idealised cognitive models). فالوحدات البانية، والعناصر التي تدخل الفضاء الذهني، والخصائص، والعلاقات تعتبر كلها بواعث على تشغيل هذه البنيات المعرفية الموجودة مسبقا.

مثال ذلك، أن الوحدة البانية في (6) تبعث على تشغيل إطار *اللوحات*. ويبعث العنصران على تشغيل أطر *الساحرات* و*طيران الساحرات* و*المخلوقات الخرافية* مثل *العنقاء*. كما أن عبارة: *تركب* تعبر عن علاقة بين العنصرين وتبعث على إطار *الركوب*. ويبرز إطار *الركوب* دورين مشاركين، دور *الراكب* ودور *المطية*. ويربط دور *الراكب* بالعنصر أ، الذي تدخله العبارة: *ساحرة*؛ ويربط دور *المطية* بالعنصر ب، الذي تدخله العبارة: *عنقاء*. وبذلك تقوم العلاقة بين العنصرين في الفضاء الذهني.

بهذا يكون الفضاء الذهني المكتمل المتعلق بالجملة (6) كما يلي:

(8)

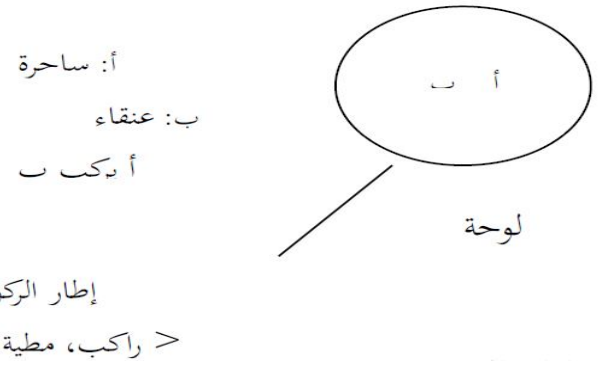

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 12

4.3 شبكة الفضاءات الذهنية

عندما يكتمل بناء أي فضاء ذهني، فإنه يربط بالفضاءات الذهنية الأخرى التي تبنى خلال الخطاب. وفي أي نقطة من جريان الخطاب، يكون أحد الفضاءات بمثابة *قاعدة*(base)؛ وهو الفضاء الذي يبقى في المتناول لبناء فضاء ذهني جديد. فخلال جريان الخطاب تتعدد الفضاءات الذهنية مشكلة شبكة أساسها الروابط وعلاقات التشغيل بين هذه الفضاءات.

ونمثل لهذه الشبكة في الرسم (9)، حيث تمثل الدوائر الفضاءات الذهنية، وتشير الخطوط النقطية إلى الروابط بين الفضاءات، وتمثل القاعدة الفضاء الذهني الذي يعلو الشبكة:

(9)

قاعدة

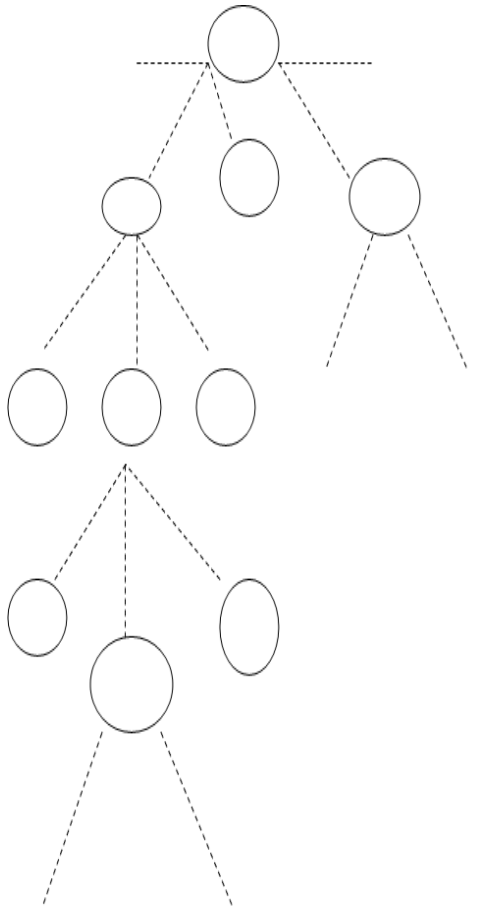

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

5.3 المقابلات والروابط

تتم التعالقات بين مختلف الفضاءات الذهنية عن طريق الربط الذي يمكن أن يقوم بين العناصر المنتمية إلى الفضاءات. ويقوم هذا الربط بواسطة *روابط* (connectors) تقيم علاقات بين مقابلِات من العناصر. وتحدَّد المقابلات على أساس وظيفة ذريعية (pragmatic function). فعندما تكون العناصر المنتمية إلى فضاءات ذهنية مختلفة مرتبطة بوظيفة ذريعية معينة، فإنها تعتبر مقابلات. ومن أنماط الوظائف الذريعية البارزة وظيفة التطابق (أو التعيين)[31].

مثال ذلك أن *جيمس بوند*، في روايات يان فليمينغ، هو اسم شخصية الجاسوس البريطاني المتخيَّل، و007 هو الاسم الرمز الذي يستعمله جهاز المخابرات لتعيين هذا الجاسوس. فالوظيفة الذريعية الرابطة بين الكيانين المحال عليهما *بجيمس بوند* و007 هي وظيفة الاشتراك الإحالي أو التطابق. وبعبارة أخرى، يحيل التعبيران على نفس الفرد ويشكلان معا *سلسلة إحالة*. (chain of reference). إن العناصر التي تنتمي إلى فضاءات ذهنية مختلفة والتي تكون مشتركة في الإحالة (أي تكون مقابِلات مربوطة عن طريق التطابق)، تعتبر متعالقة بواسطة *روابط تطابق*.[32]

إن الروابط مبادئ تصورية تعبر، من وجهة نظر نفسية، عن ميل المتكلمين إلى تعرف الترابطات بين بعض الكيانات، أو إقامة علاقات بين أشياء ذات طبيعة مختلفة، تمكنهم من الإحالة على شيء عن طريق شيء آخر مرتبط بالأول بشكل ملائم.ويحيل فوكونية بعضاً من الربط في بعض الدلالات التداولية والمجاز والاستعارة والقياس وربط الدور بالقيمة والاهتداء إلى التطابق والعلاقات الرابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع[33].

ومن الأمثلة التي يقدمها فوكونييه (1984) عن المبادئ المطردة التي يسميها "روابط مفتوحة" في مقابل المبادئ غير المطردة (أو "الروابط المغلقة")، المبدأ الكنائي العام الذي يسميه مبدأ "تعيين" ويصوغه كالتالي: [34]

مبدأ التعيين

إذا كان شيئان (بالمعنى الأعم): أ وب مرتبطين عن طريق وظيفة ذريعية: وظ (ب=وظ (أ))، فإن وصف أ يمكنه أن يصلح لتعيين ب الموافق ل أ:

وظ

أ ب

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10

فهناك وظيفة (وظ 1) تربط بين المؤلفين ومؤلفاتهم:

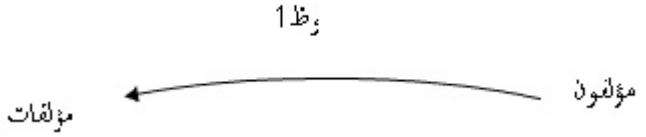

وإذا أخذنا مثلا:

أ= الجاحظ

ب= وظ 1 (أ) = "مؤلفات الجاحظ"

فإن مبدأ التعيين يسمح ل (10) بالدلالة على (11):

(10) تجد الجاحظ على الرف الأيسر

(11) تجد مؤلفات الجاحظ على الرف الأيسر

أي أن وصف أ يسمح بتعيين ب. ويسمي فوكونييه أ، في هذا المثال، مشغلا (للإحالة)، وب هدف (الإحالة)، ووظ رابطا، كما يبدو في مثل:

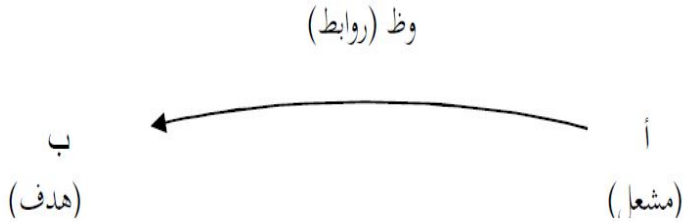

فمبدأ التعيين يشير إلى أن وصف المشغل يمكنه أن يعين الهدف، وذلك في وضع "ترابط ذريعي". وهذا يمكن من الإحالة على الهدف ب.

ففي المثال (10) المؤول استنادا إلى الرابط:

هناك إحالة على مؤلفات معينة، وهو هدف إحالي يصبح سابقا (antécédent) ممكنا لضمائر أو لعناصر عائدية أخرى، كما نجد في مثل:

(12) تجد الخنساء على الرف الأيسر، إنه مجلد بجلد فاخر

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

ويكون المشغل أ أيضا سابقا ممكنا:

(13) تجد الخنساء على الرف الأيسر، وسترى أنها تنظم بشكل ممتاز

وهذا يعني أن المشغل (الخنساء المؤلفة)، والهدف (ديوان الخنساء مثلا)، يصلحان معا لأن يكونا سابقين للضمائر في بقية الخطاب.[35]

ويربط فوكونييه الأحكام المتعلقة بانفتاح بعض الروابط بقدرة المتكلمين على تعلم روابط جديدة وإقامتها عن طريق بناء "نماذج معرفية ذريعية" جديدة. وبقدر ما يصبح رابط ما مألوفا وعاما ونافعا بقدر ما ينحو نحو الانفتاح.

ومن الروابط الأخرى التي يوردها فوكونييه، والتي تعالق بين "فضاءات ذهنية"، وتعتبر مفتوحة باستمرار، روابط مثل التي تعالق بين الصورة والنموذج، [36] فتسمح لجملة مثل:

(14) هند تبتسم

أن تحيل سواء على هند نفسها (النموذج) أو على صورتها:

أو مثل التي تعالق بين المحل والحال، وتسمح ل (15) بالإحالة على (16):

(15) استقبلت المدينة زيدا

(16) استقبل سكان المدينة زيدا

6.3 الأدوار والقِيَم

من المظاهر البارزة في نظرية الفضاءات الذهنية معالجتها للمركبات الاسمية ذات التأويل المعرَّف. وهي مركبات اسمية تشمل أسماء الأجناس المعرَّفة، مثل: *الرئيس*، والأعلام، مثل: *زيد*.

وتعتبر نظرية الفضاءات الذهنية أن المركبات الاسمية ذات التأويل المعرَّف لا يمكنها أن تملك إحالة قارة، أي أنها قد تحيل أو لا تحيل على محال عليه واحد.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 16

ويمثل فوكونييه (1994) لذلك بالأمثلة التالية:[37]

(17) أ. يتغير الرئيس كل سبع سنوات ب. سيارتك مختلفة دائما

تعتبر الجملتان في (17) ملتبستين. فقد تعني (17أ) أن مظهر شخص الرئيس يتغير بكيفية معينة كل سبع سنوات، كأن يتساقط شعره أو يصبح ذا شاربين، الخ. كما قد تعني أن الشخص الذي يقوم بمهام الرئيس يتغير كل سبع سنوات. أما (17ب) فقد تعني أن مظهر سيارتك يكون مختلفا كلما رأيناها، كأن تكون مختلفة العجلات أو فيها زيادة أو نقصان، الخ. وقد تعني أنك تكون في سيارة جديدة كلما رأيناك.

يوضح هذا النوع من الالتباس أن المركبات الاسمية ذات التأويل المعرّف يمكن أن تكون لها حسب فوكونييه قراءة *الدور* أو قراءة *القيمة*. فقراءة الدور في المركب: *الرئيس*، تتعلق بموقع الرئيس بغض النظر عن من يحل في هذا الموقع (أي التأويل الثاني في (17أ)). وقراءة القيمة تتعلق بالفرد الذي يلعب الدور (أي التأويل الأول في (17أ)).

وتقوم الأدوار والقيم معا بإدخال العناصر إلى الفضاءات الذهنية، لكن كل واحد منهما يمكن من تعالقات مختلفة. وذلك ما يوضحه المثال التالي:

(18) طوني بلير هو الوزير الأول. تعتقد مارغريت تاتشر أنها ما زالت الوزير الأول وأن طوني بلير هو زعيم المعارضة

توجد في فضاء القاعدة العناصر التالية: *طوني بلير* و*الوزير الأول* و*مارغريت تاتشر*. وهذه عناصر موجودة أصلا في الخطاب أو في المعرفة الموسوعية. وما يشير إلى ذلك أن لها إحالة معرّفة، وهذا يعني أنها لم تبن باعتبارها عناصر جديدة ولكنها موجودة مسبقا.

في فضاء القاعدة، يعتبر *طوني بلير* عنصر القيمة المربوط بعنصر الدور: *الوزير الأول*. وبعبارة أخرى، هناك علاقة دور بقيمة تربط بين العنصرين المشتركين في الإحالة. ويمكن لهذه العلاقة أن تكون قائمة على أساس المعرفة الموسوعية، إلا أنها، في (18)، مذكورة بوضوح في الجملة الأولى.

ويشير الرسم (19) إلى هذه العلاقة عن طريق السهم النقطي الرابط بين عنصر القيمة: *طوني بلير*، وعنصر الدور: *الوزير الأول*:

(19)

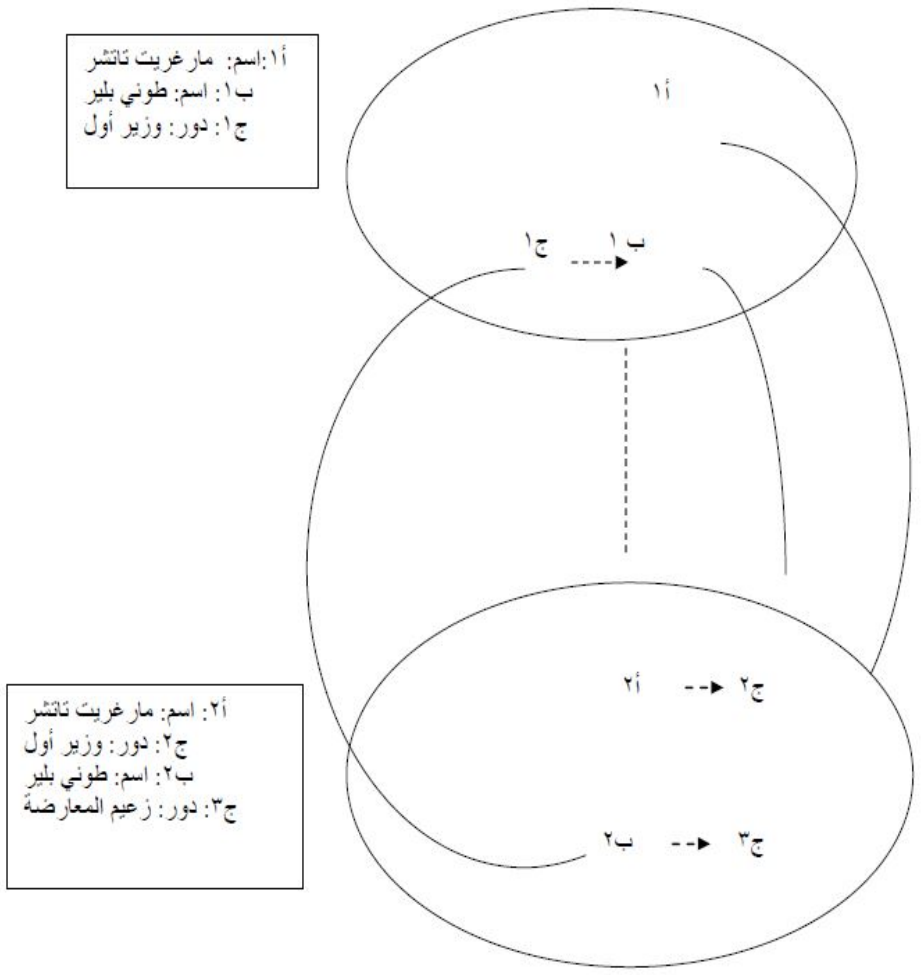

وتبني الجملة الثانية، في (18)، فضاءً ذهنياً جديداً يقوم على الوحدة البانية للفضاء: *تعتقد مارغريت تاتشر...* وفي الفضاء الذهني الذي يشكله *اعتقاد تاتشر*، يوافق الضمير: *ها* (المربوط بـ*مارغريت تاتشر* بواسطة رابط تطابق أو تعيين) عنصر القيمة المربوط بعنصر الدور: *الوزير الأول*. بينما يوافق *طوني بلير* عنصر القيمة المربوط بعنصر الدور: *زعيم المعارضة*.

ونجد في الرسم (19) توضيحا لهذه التعالقات والروابط التي تعبر عنها الجملة (18).

7.3 تطبيقات على بناء الفضاءات الذهنية

لنتخذ من النص القصير في (20)، مجالا لتطبيق بعض آليات بناء الفضاءات الذهنية كما أوضحناها في الفقرات السابقة. ورغم بساطة النص المعني، فإنه يقتضي عمليات لبناء المعنى لا تخفى درجة تعقيدها:

(20) رأى فيدو سلحفاة، طاردَها. ظن أن السلحفاة بطيئة. لكنها سريعة. ربما تكون السلحفاة في الواقع قطا.

لقد رأينا أن بناء الفضاء الذهني يبدأ دائما بإقامة قاعدة تمثل نقطة انطلاق لأي مرحلة من مراحل الخطاب. ويمكن أن تعتبر "المراحل" في الخطاب بمثابة محاور للحوار. ويتم إدخال العناصر في القاعدة بواسطة أوصاف غير معرَّفة؛ أو يتم تعيينها باعتبارها موجودة مسبقا عن طريق أوصاف معرَّفة أو عن طريق عوامل غير لغوية كالتي يمكن أن يوفرها السياق، كما في حالة إحالة المتكلم على شيء مرئي أو مألوف لدى المتكلم والسامع معا، نحو:

(21) أعطني المقص

أو في حالة إحالة المتكلم على شيء سبق الحديث عنه مع السامع، نحو:

(22) لقد وجدت الكتاب

تقدم الجملة الأولى في (20) وصفا معرَّفا هو: *فيدو*، وذلك بكيفية اقتضائية تشير إلى أن العنصر: *فيدو* موجود في سياق الخطاب. ولنلاحظ أنه يمكننا أن نقول ذلك بغض النظر عن علمنا بسياق الخطاب السابق. فإذا كانت (20)، مثلا، جزءا من حكاية شفوية، سنكون دون شك، قد عرفنا من قبل من هو *فيدو*.

لكن إذا كانت (20) بداية حكاية مكتوبة، فإننا "نبني" هذا السياق الخلفي. لذلك، يبنى هذا العنصر: *فيدو* في فضاء القاعدة باعتباره جزءا من المعرفة الخلفية. إضافة إلى ذلك، فإن *فيدو* اسم، ونعلم من خلال المعرفة الخلفية أن هذا الاسم يطلق عادة على كلب، فنستنتج أن العبارة تحيل على كلب.

هناك أيضا وصف غير معرف في هذه الجملة هو: *سلحفاة*. والوصف غير المعرَّف يدخل عنصرا جديدا إلى الخطاب، فيبنى في فضاء القاعدة. ويقيم الفعل *رأى* علاقة بين العنصرين، أساسها إطار الرؤية الذي يستلزم على الأقل دورين مشاركين: *الرائي* و*المرئي*. ويتم ربط هذا الإطار بفضاء القاعدة، فيربط دور *الرائي* بـ*فيدو* (العنصر أ1)، ودور *المرئي* بـ*سلحفاة* (العنصر ب1). كما هو مبين في الرسم (23):

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

(٢٣) رأى فيدو سلحفاة

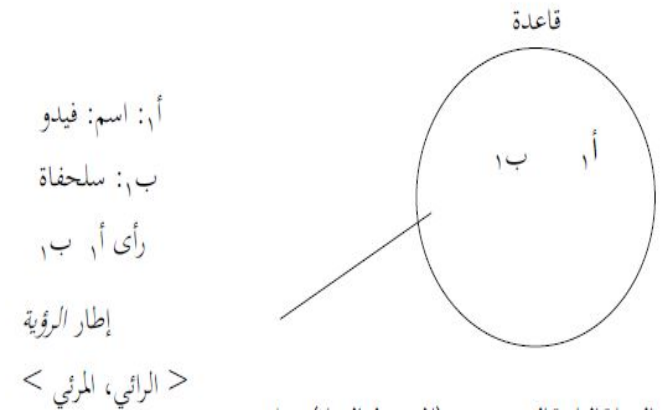

وتستخدم الجملة الثانية الضميرين: *هو* (المستتر في الفعل) و: *ها*. وبما أننا نعلم مسبقا، من المعرفة الخلفية، أن الاسم: *فيدو* يحيل على حيوان ذكر، فإن *هو* تعين أ1 في فضاء القاعدة، بينما تحيل: *ها* على ب1. ويبعث الفعل: *طارد* على بنية تضاف إل فضاء القاعدة هي بنية إطار *المطاردة*. وهو إطار يستلزم، مثل إطار *الرؤية*، دورين مشاركين: *المطارِد والمطارَد*، يُربطان، تباعا، ب أ1، وب1، كما يتضح في الرسم (24):

(24) طاردَها

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 20

وتتضمن الجملة الثالثة الوحدة البانية للفضاء: *ظن أن*. وهي وحدة تقيم فضاء *اعتقاد* جديد يبنى تبعا للقاعدة. فيبعث الضمير: هو (المستتر في *ظن*) على أ2، المقابل ل أ1 (*فيدو*)، بينما تدخل *السلحفاة* عنصرا بكيفية اقتضائية، ما دام هذا العنصر سبق إدخاله في الخطاب عن طريق الوصف غير المعرّف: *سلحفاة*. فيبعث هذا العنصر على مقابل في فضاء القاعدة، أي أن *السلحفاة* تدخل العنصر ب2 المقابل ل ب1 (*سلحفاة*). وفي الحالتين معا، يتم الربط عن طريق الوظيفة الذريعية القائمة على التعيين.

وهذا يعني أن الخصائص والعلاقات المسندة إلى العنصرين المقابلين ل أ1 وب1 – أي أ2 وب2 – تبنى كذلك في فضاء الاعتقاد. ويشمل ذلك الأدوار المشاركة التي يستلزمها الإطاران: *الرؤية والمطاردة*. كما أن خاصية *البطء* تسند إلى ب2 (*السلحفاة*) في فضاء *اعتقاد فيدو*. وذلك ما يبينه الرسم (25):

(25) ظن أن السلحفاة بطيئة

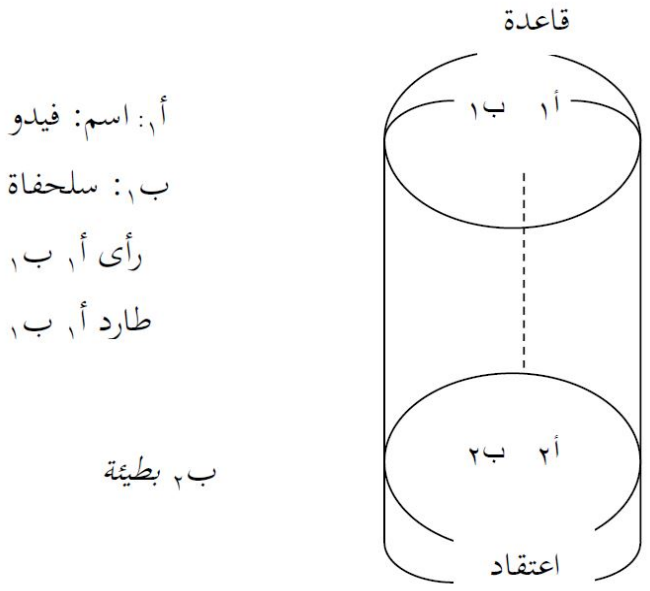

في الجملة الرابعة، تضاف معلومة جديدة تفيد أن السلحفاة سريعة. وما دامت هذه المعلومة تتعلق بالواقع، فإنها تضاف إلى فضاء القاعدة عوض فضاء *اعتقاد فيدو*. فاستعمال: *لكن*، التي تدخل تأويلا مضادا لما هو منتظر، يعني أن المعلومة المتعلقة بسرعة السلحفاة تنحصر في فضاء القاعدة.

وذلك لأن المعلومة المتضمنة في فضاء *الاعتقاد*، والخاصة ببطء السلحفاة، تناقض المعلومة المتضمنة في فضاء القاعدة. فاستعمال *لكن* يشير إلى مبدأ يمنع المعلومة المضادة (أي سرعة السلحفاة) من أن تمتد إلى فضاء الاعتقاد؛ إذ لا يمكن لفيدو أن يظن أن السلحفاة بطيئة وسريعة في نفس الوقت. وهذا ما يعكسه الرسم (26): لكنها سريعة

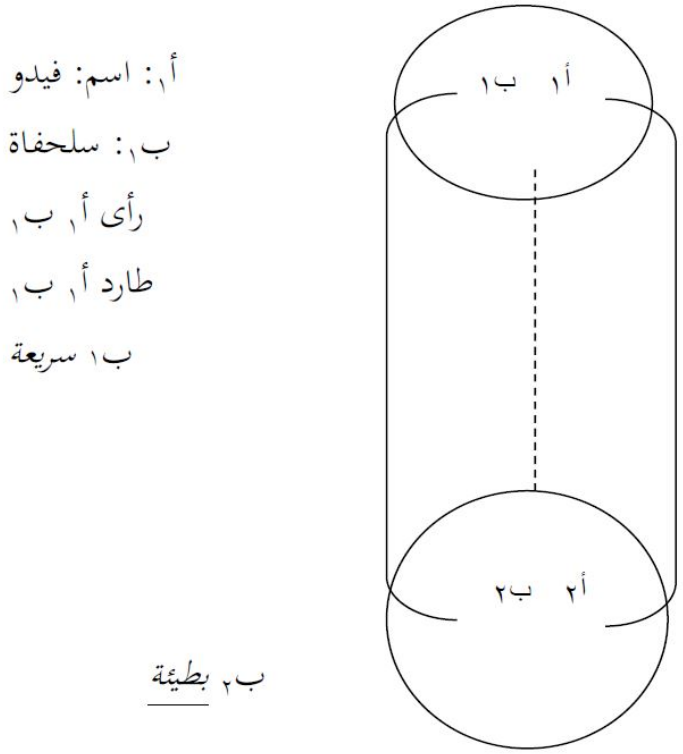

وتتضمن الجملة الأخيرة الوحدة البانية للفضاء: *ربما*، التي تقيم فضاء *إمكان*. ومقابل السلحفاة (ب1)، في هذا الفضاء، قط (ب3). وتشير العبارة: *في الواقع*، إلى أن فضاء *الإمكان* هذا، يبنى من منظور فضاء القاعدة عوض منظور فضاء *اعتقاد فيدو*، لأن فضاء القاعدة هو فضاء الواقع، كما هو مبين في الرسم (27):

(27) ربما تكون السلحفاة في الواقع قطا

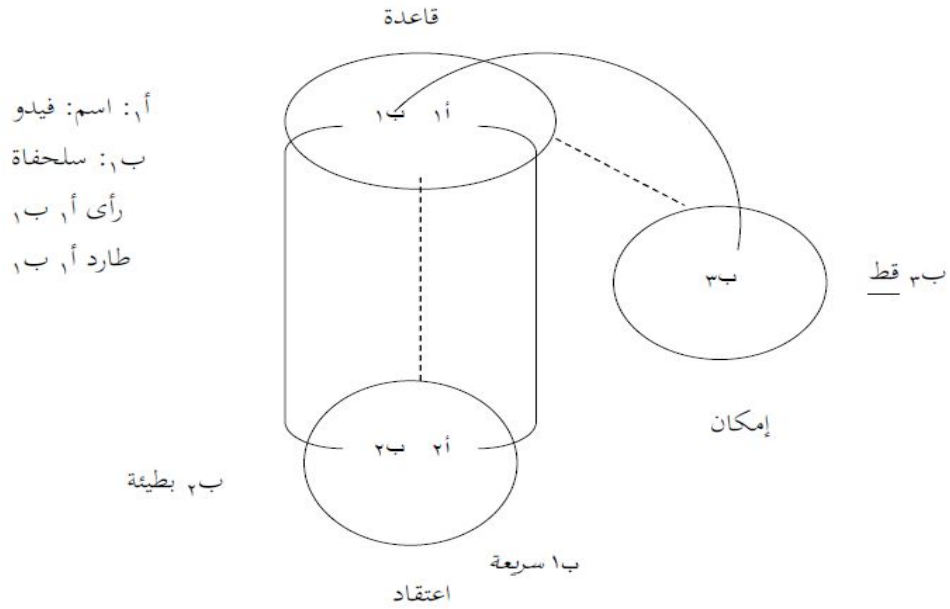

يوضح هذا المثال التطبيقي كيف أن قطعة صغيرة من الخطاب، مثل (20)، تقتضي مشاركة فعّالة للسامع (أو القارئ) في بناء عدد من الفضاءات الذهنية المختلفة. وهو ما يبرز العمليات المعرفية المركبة التي تتم في "الخلفية" أثناء بناء المعنى، كما يبرز الارتباط الوثيق بين استعمال اللغة واستعمال المعرفة التي يوفرها النسق التصوري. [38] وهو الارتباط الذي يشكل سمة جوهرية من سمات نظرية الفضاءات الذهنية، على الخصوص، والدلالة المعرفية، على العموم.

8.3 المزج التصوري

ترتبط نظرية المزج بنظرية الفضاءات الذهنية،ولها أسماء عديدة منها:المزج (Blending Theory)، والمزج المفهومي (Conceptual Theory)، أو الإدماج المفهومي (Conceptual integration) [39]. ولقد انبثقت نظرية المزج التصوري (Conceptual Blending Theory) من اتجاهين في البحث داخل الدلالة المعرفية، هما نظرية الاستعارة التصورية ونظرية الفضاءات الذهنية. وتعتبر نظرية المزج التصوري من حيث هندستها واهتماماتها المركزية مرتبطة بنظرية الفضاءات الذهنية وامتدادا لها. ويعود ذلك إلى عنايتها الخاصة بالمظاهر النشيطة لبناء المعنى وإلى اعتمادها على الفضاءات الذهنية في تكوينها الهندسي. فأسس نظرية المزج هو الفضاء وهو

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

تلك البنية التمثيلية التي يبنيها الأشخاص أثناء الحديث أو التفكير عن المدركات والمتخيلات وعن جميع الأوضاع الماضية أو المعيشية أو الآنية[40].

ومن أبرز مبادئ نظرية المزج التصوري أن بناء المعنى يستلزم عملية مزج (أو دَمج) بنيوي تنتج قدرا من المعنى أكبر من الأجزاء التي تشكل دخلا لهذه العملية. ويستدل أتباع النظرية على أن عملية المزج التصوري هذه عملية معرفية قاعدية وعامة ومركزية في طبيعة التفكير البشري. ومثال ذلك، أن مقولة *السمكة المدللة*، كما رأينا، في فقرة سابقة، ليست مجرد تقاطع بسيط بين مقولتي *المدللة والسمكة*؛ بل هي مقُولة تمزج بكيفية انتقائية بين بعض خصائص مقُولتَي المصدر لإنتاج مقُولة جديدة تمتلك بنيتها الداخلية المتميزة؛ وهي عملية تتم بفضل المزج التصوري الذي يستدل الباحثون في تطبيق هذه النظرية على وروده في ظواهر تهم مجالات مختلفة متعددة، إضافة إلى الدلالة اللغوية، كالخطاب الأدبي والرياضيات والموسيقى وعلم النفس المعرفي والاجتماعي والأناسة وعلوم الحاسوب.

وتعود أصول نظرية المزج التصوري إلى أبحاث فوكونييه ومارك تورنر (Mark Turner).[41] فبينما طور فوكونييه، كما رأينا في الفقرات السابقة من هذا البحث،رصد عدد من المشاكل التقليدية المتعلقة ببناء المعنى، حاول تورنر معالجة بناء المعنى من زاوية البنيات الاستعارية في اللغة الأدبية. والتقى الباحثان في التوصل إلى أن بناء المعنى يشتق في حالات كثيرة من بنية لا توفرها البنيات اللغوية أو التصورية التي تكون بمثابة دخل لعملية بناء المعنى. ومن ثمة تمت بلورة نظرية المزج التصوري.

ومن النماذج المتداولة في الأبحاث المزجية والتي شكلت منطلقًا لتصور هذه النظرية، المثال الاستعاري التالي الذي لا يمكن رصده بكيفية مباشرة في إطار نظرية الاستعارة التصورية:

(28) هذا الجراح جزار

ففي هذا الإطار النظري الأخير تفسر (28) على أساس إسقاط المجال المصدر على المجال الهدف، فيتم، بموجب ذلك، فهم الهدف من خلال البنية المسقطة استعاريا، أي أن المجال الهدف: *جراح* يفهم من خلال المجال المصدر: *جزار*. ويتضمن المجال المصدر جزارا وسكينا ولحم الحيوان الذي يقطعه الجزار. ويتضمن المجال الهدف جراحا ومبضعا وإنسانا مريضا في حالة اللاوعي يجري عليه الجراح عملية جراحية.

إلا أن الصعوبة التي تعترض نظرية الاستعارة التصورية بخصوص رصد المثال المعني، تتجلى في أنه يستلزم، في الواقع، حكم قيمة سلبي. فرغم أن مهنة الجزارة تتطلب مهارة ومعرفة

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 24

عاليتين، فإن تصور الجزار باعتباره جزارا يتضمن حكما سلبيا على الجراح (بالضعف وقلة المهارة).

ومن ثمة، فإن نظرية الاستعارة التصورية لا ترصد اشتقاق هذا الحكم السلبي من المجال المصدر: *جزار*.

إن هذا المثال يشير إلى مظاهر أساسية في المعرفة البشرية. ذلك أن اللغة والفكر ليسا تأليفيين بالمعنى التراكمي القائم على مجرد إضافة عنصر إلى عنصر آخر. وبعبارة أخرى، لا يقوم بناء المعنى على مجرد إسقاطات بسيطة تبني مجالا تصوريا من خلال مجال تصوري آخر، مثلما يحصل في الاستعارات التصورية، أو تقيم روابط بين مقابلات تنتمي إلى فضاءات ذهنية، كما رأينا في الفقرات السابقة.

ومن أبرز إضافات نظرية المزج التصوري أنها ترصد انبثاق مثل هذه المعاني التي يستلزمها المثال السابق، من خلال افتراض مفاده أن بناء المعنى يستلزم بروز بنية دلالية جديدة؛ أي قدرا من المعنى أكثر مما ينتج عن مجرد ضم الأجزاء المكوِّنة إلى بعضها. ويقوم رصد هذه الظواهر في نظرية المزج التصوري على الخطوات التالية:

أ: تقوم شبكة الدمج (أو المزج) على دخلين (أو أكثر) ترتبط عناصرهما عن طريق الإسقاط.

ب: ما دام بناء المعنى يقتضي شبكات دمج، كياناتها متعددة الفضاءات، فإن نظرية المزج التصوري تربط الفضاءين الدَّخلين عن طريق فضاء عام يتضمن معلومات مشتركة بين الدخلين.

ج: ما يميز شبكة الدمج أنها تقوم على فضاء رابع هو *فضاء المزج*. وهو الفضاء الذي يتضمن البنية الدلالية الجديدة؛ أي المعلومات التي لا توجد في أي دخل. وهو ما يبرزه الرسم التالي:

هكذا يرث فضاء المزج عناصر من الدخلين، لكنه يشتق بنية دلالية لا توجد فيهما[42]. وهي البنية الجديدة التي تكون عن طريق عناصر فضاء الدمج التي لا ترتبط بأي دخل من الدخلين. وهي البنية المتعلقة في مثال إسقاط الجزار على الجراح، بمعلومات حكم القيمة السلبي.

الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث القيام بتجريد بعض أهم الأسس والمبادئ النظرية والمنهجية المتعلقة بنظرية الفضاءات الذهنية عند فوكونييه، مع تطوراتها التي تجلت في نظرية المزج التصوري عند فوكونييه وتورنر،فرغم تعدد صيغ هذه الأعمال واختلاف أجهزتها الاصطلاحية والمفاهيمية في معالجة الفضاءات الذهنية عند فوكونييه، عملنا على تتبع المسالك المؤدية إلى مكونات الأساس

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

النظري والمنهجي المشترك لهذه النظرية التي تأخذ أيضا بعين الاعتبار العمليات والمبادئ المعرفية العامة التي تساهم في بناء المعنى الذي يتم الجزء الأكبر منه "خلف المشهد". وأن اللغة لا ترمِّز الفكر في شموله وتعقيده، بل ترمِّز فقط تعليمات جزئية لخلق أفكار أغنى وأكثر تبلورا.وعلى ذلك فنظرية الفضاءات الذهنية تفترض أن بناء التصورات يقوده سياق الخطاب الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من عملية بناء المعنى. ومن ثمة، فبينما يمكن أن تكون المعرفة الذريعية مختلفة نوعيا عن المعرفة الدلالية (أي المعلومات المفقرَة التي ترمِّزها اللغة)، فإن هذه الأخيرة لا تكون ذات معنى إلا في السياق.

لقد رأينا أن بناء الفضاء الذهني يبدأ دائما بإقامة قاعدة تمثل نقطة انطلاق لأي مرحلة من مراحل الخطاب. ويمكن أن تعتبر "المراحل" في الخطاب بمثابة محاور للحوار.

الهوامش

1- Nancy and Gurevic،(2004)، ص.204.

2- Carbon ،(2014)،ص.66.

3- Ellis (2005)،ص.305.

4 - Löbner، (2011)ص.279.

5- Vosgerau، (2007)،ص.349.

6- Haggard and whitford، (2004)،ص.54-52.

7- Fargha، (2007)،ص.366.

8 - Fargha، (2007)،ص.366.

9- الجاحظ، الحيوان،ج3،ص.43.

10- الجرجاني,دلائل الإعجاز،ص..539

11- الجرجاني,دلائل الإعجاز،ص..81

12- نفسه،ص..49

13- نفسه،ص..49

14- شفيقة العلوي،محاضرات في المدارس اللسانية،ص20.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 26

15- محمد اسماعيل بصل،وفاطمة بلة،ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث،(2014)،ص.4.

16- نفسه،ص.5.

17- حسين محمد زعوط، المفاهيم النظرية لسياق الحال ومكوناته عند محمد الطاهر عاشور، (2011)،ص.166.

18- بول ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى،ص.21.

19- بول ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى،ص.21-22

20- بول ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى،ص.37.

21- katz,G ،(2008)،ص.224-220.

22- Guanrino،(1992)،ص.249.

23- نفسه،ص.2491–261

24- انظر Fauconnier (1994)،ص380 وEvans, V. and Green (2006)، صص. 366-367.

25- Fauconnier (1997)، ص12

26- نفسه،ص.13.

27- Evans, V. and Green (2006)، صص. 369-370.

28- الأزهر،الزناد،ص.198.

29- الأزهر،الزناد،ص.199.

30- الأزهر،الزناد،ص.200.

31- Fauconnier (1984)، صص.19 -20

32- Evans, V. and Green (2006)، صص. 374-375.

33- الأزهر،الزناد،ص.200.

34- Fauconnier (b1984)، صص. 15-16؛ وانظر غاليم (1987)، صص. 102-105

35- Fauconnier (1984)، صص.17-19.

36- نفسه، صص. 23-24.

37- Fauconnier (1994)، ص. 39.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 10

38- انظر Evans, V. and Green (2006)، صص. 382-386.

39- الأزهر،الزناد،ص.223.

40- نفسه،ص.223.

41- Fauconnier, G. and M. Turner (2002)،ص.149.

42- Culicover, P. W (1999)،180؛ وEvans, V. and Green (2006)، صص. 401-403.

المراجع بالعربية

بول ريكور، **نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى**، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشر المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب، ط2، 2006.

حسن محمد زعطوط، المفاهيم النظرية لسياق الحال عند محمد الطاهر بن عاشور، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد 38، العدد1، 2011، الجامعة الأردنية.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، **الحيوان**، ج3، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الباني، مصر، ط2، 1965.

الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، ط3، 1992.

الجرجاني، عبدالقاهر، **أسرار البلاغة**، ت: أبو فهر محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991.

الزناد، الأزهر، **نظريات لسانية عرفنية**، الدار العربية للعلوم، تونس، 2010.

العلوي، شفيقة، **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، ط1، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

غاليم، محمد، **التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987.

محمد اسماعيل بصل وفاطمة بلة، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، العدد، 18، 2014، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/10 28

المراجع الأجنبية:

Culicover, P. W. (1999), *Syntactic nuts: Hard cases in syntax*. Oxford: Oxford University Press.

Chang, Nancy, Olga Gurevich (2004). *Context-driven construction learning*. In Proceedings of the 26th Annual Meeting of the Cognitive Science Society.

Carbon, C.-C. (2014). *Understanding human perception by human-made illusions*. Frontiers in *Human Neuroscience*, 8, 566. http://doi.org/10.3389/fnhum.2014.00566.

Löbner, S. (2011). Concept types and determination. *Journal of Semantics*.

Evans, V. and Green, A. (2006), *Cognitive Linguistics*, *an Indroduction*, Edinburgh University Press.

Ellis, N.C. (2005). *At the interface: Dynamic interactions of explicit and implicit language knowledge*. Studies in Second Language Acquisition 27.

Fauconnier, G. (1984a), *Espaces mentaux*. Aspects de la construction du sens dans les langues naturelles. Minuit

Fauconnier, G. (1984b), "Ya –t-il un niveau linguistique de représentation Logique? ", *Communications* 40.

Fauconnier, G. (1994), *Mental spaces*, Cambridge University Press.

Fauconnier, G. (1997), *Mappings in thought and Language*, Cambridge University Press.

Fauconnier, G. and M. Turner (2002), *The Way we Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities*. New York: Basic Books.

Farghal, M. (1995). *Euphemism in Arabic: A Gricean interpretation. Anthropological Linguistics.*

Guarino, N. (1992). Concepts, attributes, and arbitrary relations. Some linguistic and ontological criteria for structuring knowledge bases. *Data & Knowledge Engineering* 8.

Haggard, P., Whitford, B. (2004). *Supplementary motor area provides aneUerent signal for sensory suppression*. Cognitive Brain Research

Katz, G. (2008). *Manner modiVcation of state verbs*. In L. McNally & C. Kennedy (eds.), Adjectives and Adverbs: Syntax, Semantics and Discourse, 220–248. Oxford: Oxford University Press.

Löbner, S. (2011). Concept types and determination. *Journal of Semantics* 28.

Vosgerau, G. (2007). *Conceptuality in Spatial Representation*. Philosophical Psychology.